حِكَم بُزُرجمِهر

توطئة

قد اشاد الفرس بذكر احد حكمائهم المبرّزين يُدعى بُزُرجمهر ومعناهُ الشمس العظيمة وهم كثيراً ما يروون عنهُ الاقاويل الحكمية والامثال السائرة وضربوا بحكمتهِ المثل. وقد وقفنا في احد جوامع مكتبتا الشرقية على فصل يتضمّن قسماً صالحاً من حكم هذا الرجل الشهير. وهذا المجموع قديم رُبَّ وصفهُ سابقاً وعنهُ اخذنا عدَّة مقالات حسنة منها مقالة مكارم الاخلاق للثعالبي (٣٨:٣) وكتاب السياسة للفارابي (٦٤٨:٤) ورسالتي الطير لابن سينا وللغزّالي (٨٨٣:٤) ونخبة من حكم علي بن ابي طالب (١٠:٥). وحكم بزرجمهر المذكورة قد وردت في اثر حكم امير المؤمنين عليّ. وهي عبارة عن تسع صفحات

اما ترجمة بزرجمر فلا نعلم منها شيئاً ثبتاً مع كثرة اخبارهِ في خزافات العجم. وما يُستَخلص من كتبهم ومن تواريخ العرب كالمسعودي في مروج الذهب والثعالبيّ في ملوك الفرس (ed. Zotenberg) انّ بزرجمهر وهو ابن البختكان ولد في مرو من اعمال خوارزم في القرن السادس للمسيح فتلمذ لبعض حكماء بلدتهِ واخذ عنهُ العلوم. فحدث ان كسرى انو شروان رأى منامًا ازعجهُ فلم يمكن احد منجميّ بلاطهِ ان يفسرهُ لهُ الى ان بلغهُ خبرُ بزرجمهر فاستقدمهُ ووقف بهِ على معنى حلمه فسُرَّ الملك وقدَّم بزرجمهر على اعيان دولتهِ واستوزرهُ ثم نكبهُ وحبسهُ وطالت أيامهُ في المحنة حتَّى كُفَّ بصرهُ. ثم احتاج اليهِ انوشروان واسترضاهُ وكرَّمهُ وبقي بُزُرجمهر في نصبهِ الى ايَّام كسرى ابرويز فخدمهُ ثلاث عشرة سنة ثم انضمهُ هذا الملك بالميل الى بعض الزنادقة من الثنويَّة فقتَّل بهِ وضرب عنقهُ. فتكون وفاة بزرجمهر على هذا الحساب وقعت سنة ٦٠٣ للمسيح

ل. ش

(٩١ه) قد كان بزرجمهر عمل في اول مملكتهِ في اجتناء الآداب من مظانّها وطلب الحكمة من معادنها ثم أُعين بفهمٍ وغزير عقل وكمال لبٍّ (٩١ز) ولم يكن كسرى انوشروان عرفهُ ولا علِمَ ما عندهُ. وان كسرى جمع ذات يوم اولئك الحكماء فدخلوا عليهِ جميعاً ودخل معهم بزرجمهر وهو يومئذٍ حديث السن فطعموا واخذوا مجالسهم لمناظرة الحكمة بين يديهِ ومطارحات الادب عندهُ. فامرهم ان يظهر كل واحد ما عندهُ من الحكمة البالغة والآداب النافذة وامر بتفقد كلامهم ليُعمِل فيهِ رأيَهُ ويتفرّغ للنظر في مخارجهِ. فتكلّم القوم جميعاً بما حضرهم من جوامع الادب وفنون الحكمة فلما فرغوا قام بزرجمهر ماثلاً امام الملك وقال: ان رأى الملك ايّدهُ الله ان يأذن لي في الكلام فان

عندي حكمة بالغة وادبًا ثاقبًا وعلمًا جامعًا احببتُ ان اظهرهُ للملك فان الحكيم ليس بملوم في اظهار حكمتهِ وابداء باطن آدابهِ ومكنون علمهِ. قال لهُ كسرى: دونك فتكلَّم. فقال بزرجمهر: ان افضل الاشياء بلاغ الايجاز. والاكثار ضلال. والباطل خيال. الدنيا سَفَر والآخرة غاية. من نقل الحقّ يُفلح لهُ ومن عمي عنهُ يُفلح عليهِ. لكل حق حقيقة ولكل انسان خليقة. فليُلتمس من الامور حقائقها ولتُجرَ الامور على طرائقها. واسُّ الامور معرفة الله وعمودهُ خوف الله وذروتهُ طاعة الله. ومن يُطع الله يرفعهُ ومن يتعزّز عليهِ يُذلّهُ. القصد اقرب من التعسُّف والكفُّ اهون من التكلف والتقدّم انجى من التخلُّف. اقرب العدو ذو القرابة واصدق الاصدقاء البعداء. كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك. واجتزِ بما يُجتَزأ ولا تعبأ بما لا يُعبأ. واياك وما يُستهوى. الصدق قوةٌ والكذب عجزٌ. والسرّ امانةٌ. والجوار قرابةٌ. والمعرفة (92ظ) صداقةٌ. والعمل تجربةٌ. والخُلقُ عادةٌ. والرفق لبٌّ. عداوة العاقل اسلم من مودّة الجاهل. القويُّ من امسك عمّا يضرُّهُ. الصمتُ زينٌ. والسخاء غنًى. والشحّ فقرٌ. والضعيف من قوي على ما لا ينفعهُ والغنيُّ من غني بقوتهِ. كن في التواضع في العلم كالجاهل. وكن في الاقتصاد في المنطق كالعيّ. واحتمل من العلم ما لا يحتمل من العمل بهِ. واكتفِ من المنطق بالكفاف. فان غُلبت على العلم لا تُغلب على الصمت فان الصمت سبيل البلغاء وهو اجلب للمودّات وانفى للحسد. واذا تعلمت علمًا فاحفظهُ فانَّ اضاعة العلم نسيانهُ. المجانبة تبطل العداوة. وتمحق البغض القديم. ثم لتكن رغبتك في جمع المال كرغبتك في انفاقهِ في وجوههِ. ولا تكن في انفاقهِ اقلَّ حرصًا منك في جمعهِ. فِرَّ من الجهل واهلهِ فانهما كالجيفة من مرَّ بها لم ينجُ من رائحتها. اعطِ العدل من نفسك الرضا منك. ولا تجعل اذنك وعاء لمن القى اليها. ولا يكونن رضاك وغضبك بيد غيرك. اقبل العذر ممَّن يعتذر اليك. ولا تتكلَّم بما لا ينفعك فتكون كالرسل سهمهُ. ولا تطلب الامور مدبرةً. ولا تطمح الى ما ليس لك فان ذلك مفتاح الفقر. القليل يجزئ من الكثير والكثير لا يغني من القليل. من تواضع للمعلمين تعلَّم. ومن ذلَّ للعلماء سادَ. لا تُشنِّنَّ من فوقك فان ذلك سخفٌ منك ولا تحقرنَّ من دونك فان ذلك لومٌ. العلمُ يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع. من عرف الله رغب في طاعتهِ

فلمَّا سمع كسرى انوشروان ذلك من بزرجمهر وعلم ما ظهر من حكمتهِ

وكمال ادبهِ وذكاء عقلهِ امر فكُتِبَ اسمهُ اول اسامي اولئك الحكماء وامر لهُ بصلةٍ جزيلة وقرَّب مجلسهُ فوق مجالس اصحابهِ

وان كسرى فرَغ نفسهُ ذات يوم لمثافنة الادب واستماع الحكمة فجمع اليهِ وزراءهُ والحكماء ممَّن ببابهِ (92ظ) واشراف مرازبتهِ وامر بزرجمهر فتصدَّر لهم ليُلقوا اليهِ المسائل من الحكمة التي تنفع سامعيها وتزيد عقول معلميها فأنبرى لهُ احدهم فقال لهُ: أيها الحكيم ما بيان القضاء والقدر. قال بزرجمهر: بيانهما ان ترى العاقل اللبيب فقيرًا والجاهل الضعيف موسرًا. ثم سُئل: ايُّ الناس افضل. قال: مجتهدٌ في الخير ساعدهُ القدر. سُئل: ايُّ الخصال بالمرء اجمل. قال: وقار بلا مهابة وسماح بلا طلب مكافاة واجتهاد بلا طلب دنيا. سئل: اي خصلة واحدة في الانسان اعظم ضررًا. قال: بصرهُ بعيوب الناس وقلَّة بصرهِ بعيوب نفسه. سئل: بما تُقاس الامور. قال: يُقاس العقل بالحلم وصلاح الشيم بالقناعة والطبائع بالمروَّة. سئل: اي الاشياء احقُّ ان يُحترَس منهُ. قال: لا شيء احقُّ ان يُحترس منهُ من العُجب واتباع الهوى وفرط التواني في الاعمال المهمَّة. سئل: اي السخاء افضل. قال: افضل السخاء ما ابتدأتَ بهِ قبل السؤال وترك طلب المكافاة عليهِ. كل سخاء ليس عن هشاشة فانهُ داع الى التبرع والتماس قروض الدنيا وطلب المكافاة ومن كانت هذه صفتهُ لا ينبغي ان يسمَّى سخيًّا بل تاجرًا. سئل: اي شيء اقرُّ للعين. قال: الولد الطيّب والزوجة الصالحة. سئل: مَن احقُّ بالرحمة. قال: الكريم الذي تسلَّط عليهِ اللئيم والبرُّ الذي تسلط عليهِ الفاجر والعاقل الذي تسلَّط عليهِ الجاهل. سئل: ايُّ الناس اشدُّ ندامةً عند الموت. قال: العالم المفرط في عملهِ. سئل: ايُّ الناس اشدُّ ندامةً في الحيوة. قال: الفَجور اذا رجع على نفسهِ باللائمة وصانع المعروف الى من لا يستحقهُ. سئل: من اولى باللائمة. قال: من كفر معروفًا اصطُنع اليهِ ولم يشكرهُ واضاع مودَّة اخوانهِ وتهاون باهلهِ واقاربهِ ولم يلتفت اليهم. سئل: (93ظ) مَن احقُّ ان يُتَّقي ويُخاف. قال: الامام الجائر والاخ المخادع. سئل: اي شيء احقُّ ان يُستأنس بهِ. قال: الزمان الصالح والاخ الودود. سئل: اي الزمان افضل. قال: ما لم تكن الغلبة فيهِ للاشرار. سئل: اي الاخوان افضل. قال اشركهم في الضرَّاء وافضلهم في السرَّاء. (لهُ تتمَّة)